مَنزِلَةُ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الشَّرْعِ

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على رسوله محمَّدٍ بنِ عبداللَّه خاتم النّبيّن والمرسلين .

وبعـــد :

فإنّ إسلام العبدِ لا يتحقق إلا بتحقيق أصلين عظيمين :

الأول : **الإخلاص في العبودية** . أي : أنْ لا نعبدَ إلا اللّهَ وحدَهُ ، لا شريك له .

الثاني : **متابعة الرسول** ﷺ . أيْ : لا نعبدُ اللّهَ إلا بما شرعَ – سبحانه - ، ولا نعبدُه بعبادة مبتدَعة .

فالإخلاص وإفراد الله تعالى وحدَه بالعبادة هو حقيقة شهادة : **لا إله الا الله** .

والاتباع والتأسِّي بالرسول ﷺ هو حقيقة شهادة : **أن محمدًا رسولُ الله** .

فهما توحيدان ؛ لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما . ولا يتحقق إسلامُ عبدٍ ، ولا يُقبل منه قولٌ ولا عملٌ ولا اعتقادٌ إلا اذا حقَّق هذين الأصلين وأتى بمقتضاهما . قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠

وكلما كان الرجلُ أحْرَصَ اتّباعًا للنبي ﷺ كان أعظمَ توحيدًا لله ، وإخلاصًا له في الدين . واذا بَعُدَ عن متابعته نقصَ من دينه بحسب ذلك . قال ابن سعدي - رحمه الله تعالى - : **(وأشرفُ مقامٍ للعبدِ : انتسابُه لعبوديّة الله ، واقتداؤه برسوله ، ومحبّته ، واتّباعه)** .

والشَّهادة بـ : أنّ محمَّدًا رسول الله ، تتضمن :

١- الإيمان في ما به أخبر .

٢- وطاعتُه في ما به أمَر .

٣- والانتهاء عمّا عنه نهى ، وزَجَر .

٤- ولا يُعبَد الله إلا بما شرع .

فلا حرامَ إلا ماحرَّمه الله ورسولُه ، ولا دينَ إلا ما شرعه الله ورسولُه :

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - : **(من عَلِمَ طريق الحقّ سهُل عليه سلوكُه . ولا دليلَ على الطريقِ إلى الله إلا متابعةُ الرسول ﷺ في أحواله ، وأقواله ، وأفعاله)** .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : **(قد جعل الله لأهل محبته علامتين :**

الأولى : اتّباع الرسول ﷺ .

الثانية : الجهادُ في سبيل الله) . مجموع الفتاوى ٢٨/١٥٢

ومتابعة النّبيّ ﷺ من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، وهي طريق النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة ، وسببٌ عظيمٌ لدفع العقوبات الإلهية .

والأدلة مستفيضة من القرآن الكريم ، والسنة المطهّرة :

قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ النور: ٥٤

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥

وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠

وقال النّبيّ ﷺ : **((مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))** .

ومِنْ ثمراتِ الاتباع :

أوّلًا : الاتباعُ سببُ دخول الجنّة :

قال النّبيّ ﷺ : **((كُلُّ أُمّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ إِلّا مَنْ أَبَى))** . قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ : **((مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى))** .

فالحب الصحيح مقيَّد بالاتباع . قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - : **(فكلُّ من ادَّعى أنَّه يحبُّ الله ولم يتَّبع الرسول ﷺ فقد كَذبَ)** . مجموع الفتاوى ٨/٣٦٠

فالعِبرة بالاتِّباع وليس بالدعوى ، وكلَّما قَوِي الاتِّباع صحَّت المحبة .

واتّباعه ﷺ هو الطريق الى محبّة الله تعالى . قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١ . **(فأسعَدُ الخلق وأعظمُهم نعيمًا ، وأعلاهم درجةً أعظمُهم اتّباعًا وموافقةً له ﷺ علمًا ، وعملًا)** . مجموع الفتاوى ٤/٢٦

ولاسبيلَ إلى تحصيل المحبة الصادقة للنبي ﷺ إلّا عن طريق اتّباع سنته ﷺ وهديه ، في كلِّ صغيرةٍ ، وكبيرةٍ .

ثانيًا : الاتّباع طريق لتحصيل حقيقة محبّة رسول الله ﷺ :

قال النّبيّ ﷺ : **((لا يُؤمِن أحدُكم حتى أكُونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه ، والنّاسِ أجمعين))** صحيح البخاري

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال : كُنَّا مع النبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفْسِي . فَقالَ النبيُّ ﷺ : **(لَا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ)** . فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي . فَقالَ النبيُّ ﷺ : **((الآنَ يا عُمَرُ))** – يعني : الآن كمُل الإيمانُ . صحيح البخاري

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يُدركُون تمام الإدراك أنّ من الأمور الأساس في الحبّ : أن يكون هدْيُ المحبِّ تابعًا لأمْر الحبيب .

ولا يختلف اثنان في أن المحبَّ لمن يحبُّ مطيع ؛ فإنه يسعى إلى فِعلِ ما يحبُّه حبيبه ، واجتناب ما يبغضه ، ويجدُ في ذلك حلاوةً ولذَّةً لاتُوصفانِ .

وكذلك من أحبَّ الرَّسول الكريمَ القائد القُدوة - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - يحرص أشد الحرص على اتباعه ، أو يسارع إلى تنفيذ أوامره ، ويبادر إلى اجتناب نواهيه.

وليس في الأمّة كالصحابة رضي الله عنهم في الاصابة للحكم المشروع ، والهدي المتبوع ؛ فهم أحقّ الأمّة في إصابة الحق والصواب ؛ إذْ كانوا رضي الله عنهم يعلمون ان رسول الله ﷺ إنّما أُرسِلَ بشيرًا ونذيرًا ؛ فكانوا في كلّ أحوالهم يمتثلون أمره ، ويقتدون به ، ويتبعونه في جميع أقواله وأفعاله ؛ فهو حُجَّةٌ يلزم اتباعها . والنّبيّ ﷺ يحثُّ أمّتهُ على التمسُّكِ بسنَّته ، ويحذِّرُهم من مخالفتها .

ومخالفة النّبيّ ﷺ تُوقِع صاحبها في الشِّرْك . قال تعالى : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣ . قال الإمام أحمد – رحمه الله - : الفتنة : الشِّرْك .

وحذَّرنا ﷺ مِن أنّ مَن انحرفَ عن سنّته ولم يتبع هديه ﷺ فليس من النّبيّ ﷺ . ومرّ بِنا قولُه ﷺ : **((فَمَنْ رَغبَ عن سُنَّتي فليس منِّي))** . صحيح البخاري . قال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - في شرح هذا الحديث : (فمن لم يُطِع الرَّسولُ ﷺ ولم يَقْتَدِ به فهو بعيدٌ كلَّ البُعدِ عن محبَّته ، والولاء له ولأهل بيتهِ)) فتح الباري ٦/٩

ثالثًا : طاعة النّبيّ ﷺ ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه سببٌ للهدايه :

قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾ النور: ٥٤ . قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : **(فكلُّ مَن اتَّبع الرسول ﷺ فاللّهُ كافِيهِ ، وهاديهِ ، وناصِرُه ، ورازقُه)** .

رابعًا : الاتباع من الصفات اللازمة للمؤمنين الصّادقين :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ النور: ٥١

خامسًا : فضل اتباع النبي ﷺ ، وثمرته العظيمة في الآخرة :

لابن القيم - رحمه الله تعالى - كلامٌ قَيِّمٌ نفِيسٌ ؛ يوضّح ذلك . قال :

(وُرودُ النَّاسِ الحوضَ وشُرْبُهم منه يوم العطش الأكبر بحسبِ ورُودِهم سنّة رسول الله ﷺ ، وشُرْبهم مِنها : **فمَنْ وَرَدَها في هذه الدار وشَرِبَ مِنها وتضَلَّع - وَرَدَ هناك حوضَه ، وشرِب منه وتضلَّع . فله ﷺ حوضانِ عظيمانِ** :

- **حوضٌ في الدّنيا . وهو** : **سُنّتهُ ، وما جاء به .**

- **وحوضٌ في الآخرة . فالشَّاربون من هذا الحوض في الدنيا هم الشَّاربون من حوضه يوم القيامة . فشارِبٌ ومحرُومٌ ، ومُستقِلٌّ ومستكثِرٌ**) . انتهى كلامه – رحمه الله - .

أخوكم

عبد الستار الجنابي

مكة المكرمة

١٥ شعبان١٤٤١هجرية